المفارقة خطابًا حجاجيًا دراسة في كتاب "جنّة العبيط" للدكتور: زكي نـجيب محمود

د. هناء كامل علي إبراهيم
مدرس اللغويات بقسم اللغة العربية
كلية الألسن ـ جامعة عين شمس

Irony as an argumentative discourse, A study in a book of "Jannat Al-Abeit" To Dr. Zaki Naguib Mahmoud

Persuasion requires a strong means to reach it at the recipient, and the argumentation discourse is one of the methods used to affects on the receiver and then convince, because of the use of linguistic and logical mechanisms, and the Irony is one of the ways which uses these mechanisms.

This research deals with the types of Irony found in philosophical literary texts which Dr. Zaki Naguib Mahmoud wrote it in London and was sent to be published in the magazine "Culture", and then collected in his book "The Paradise of the Fool " and published in 1947.

Dr.Zaki Naguib Mahmoud wrote these essays in a philosophical literary style and broadcast his ideas, which were to criticize the negatives of the Egyptian people, to call for freedom. And used in that comparison between the case in Egypt and in England.

In his essays, Dr. Zaki Naguib Mahmud relied on two things: the Irony and the symbol, in view of the contradiction between the apparent meaning he writes and the subtext that he intended, which makes his essays ironic.

المفارقة خطابًا حجاجيًا،
دراسة في كتاب "جنة العبيط" للدكتور: زكي نجيب محمود

- الملخص:

يتطلّب الإقناع وسيلة قويّة لبلوغه عند المتلقي، ويعدّ الخطاب الحجاجي واحدًا من الطرق التي تُستخدم لاستمالة المتلقي ثمّ إقناعه، نظرًا لِما يستخدمه من آليات لغويّة ومنطقيَّة، وتمثّل المفارقة إحدى الطرق التي تُصبُّ فيها تلك الآليات.

يقوم هذا البحث بمعالجة أنواع المفارقة التي وردت في نصوص أدبيّة فلسفيّة، وهي مجموعة المقالات التي كتبها د. زكي نجيب محمود في لندن وكان يُرسلها لتُنشر في مجلّة "الثقافة"، ثمّ جمعها في كتابه "جنّة العبيط" ونُشرت عام ١٩٤٧.

كتب زكي نجيب محمود هذه المقالات بأسلوب أدبيّ فلسفي، وبثّ فيها أفكاره التي كان يدعو إليها، وهي انتقاد سلبيات الشعب المصري والدّعوة إلى الحريَّة وإلى خلق الجديد؛ لا الاعتماد على القديم. واستخدام في ذلك المقارنة بين الحال في مصر وفي إنجلترا.

وقد اعتمد د.زكي نجيب محمود في مقالاته بشكلٍ أساسي على أمرين هما: المفارقة والرّمز، نظرًا لما تحمله المفارقة من تناقض بين المعنى الظاهر الذي يكتبه والمعنى الباطن الذي يقصده، ممّا يجعل أسلوبه يمتاز بالسخرية.

المفارقة خطابًا حجاجيًا
دراسة في كتاب "جنّة العبيط" للدكتور: زكي نـجيب محمود

يتطلّب الإقناع وسيلة قويّـة لبلوغـه عنـد المتلقـي، ويعـدّ الخطـاب الحجـاجي واحـدًا مـن الطرق التي تُستخدم لاستمالة المتلقي ثمّ إقناعه، نظـرًا لِمـا يسـتخدمه مـن آليـات لغويّـة ومنطقيَّـة، وتمثّل المفارقة إحدى الطرق التي تُصبُّ فيها تلك الآليات.

يقوم هذا البحث بمعالجة أنواع المفارقة التـي وردت فـي نصـوص أدبيّـة فلسـفيّة، وهـي مجموعة المقالات التـي كتبهـا د. زكـي نجيـب محمـود فـي لنـدن وكـان يُرسـلها لتُنشـر فـي مجلّـة "الثقافة"، ثمّ جمعها في كتابه "جنّة العبيط" ونُشرت عام ١٩٤٧.

كتب د. زكي نجيب محمود هذه المقالات بأسلوب أدبيّ فلسـفي، وبـثّ فيهـا أفكـاره التـي كان يدعو إليها، وهي انتقاد سلبيات الشعب المصري والدّعوة إلى الحريَّـة وإلـى خلـق الجديـد؛ لا الاعتماد على القديم. وعمد في ذلك إلى استخدام المقارنة بين الحال في مصر وفي إنجلترا.

وقد اعتمد د.زكي نجيب محمود في مقالاتـه بشـكلٍ أساسـي علـى أمـرين همـا: المفارقـة والرّمز، نظرًا لما تحمله المفارقة من تناقض بين المعنى الظاهر الذي يكتبه والمعنى الباطن الـذي يقصده، ممّا يجعل أسلوبه يمتاز بالسخرية، التي عبّر عنها في مقاله "أدب المقالة"، وأشار إلى أن المقالة الأدبية لا بد أن تكون نقدًا ساخرًا لصورة مـن صـورة الحيـاة أو الأدب، ويزيـد مـن حـدّتها استخدامه الدائم للرّمز.

مقدّمة:

- أولًا: المفارقة خطابًا حجاجيًا:

لم يكن لمصطلح المفارقة وجود بشكل صريح في المصادر البلاغية والنقدية؛ لكن كتـب التراث القديمة تحمل دلالاتها ومعانيها تحت مسمّيات أخـرى؛ مثـل التعـريض، والمـدح بمـا يشـبه الذم، والذم بما يشبه المدح، والتهكُّم، والتورية، والاستعارة، والإلماع، وسوق الكلام مساق غيره، والتضاد وغيرها من المصطلحات البلاغية العربية نعرض فيما يلي بعضًا منها:

- يعرِّف عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) الاستعارة في دلائل الإعجـاز بأنهـا هـي:"أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلـى اسم مشـبه بـه، فتعيـره المشبّه وتجريه عليه"[١].

- ويعرّف ابن الأثيـر(٦٣٧هـ) التعـريض بأنـه "اللفـظ الـدال علـى الشـيء مـن طريـق المفهوم بالوضع الحقيقي أو المجـازي"[٢]، ويسـوق مثـالًا علـى ذلـك وهـو قـول الله تعالى:"أأنـت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم*قال بل فعله كبيرهم هـذا فاسـألوهم إن كـانوا ينطقـون"، ويعلـق عليـه بقوله:"غرض إبراهيم عليه السلام من هذا الكلام إقامـة الحجـة علـيهم"؛ لأنـه قال:"فاسـألوهم إن كانوا ينطقون"، وذلك على سبيل الاستهزاء[٣].

- يعرّف تقيّ الدين الحموي (٨٣٧ هـ) التهكُّم في كتابه خزانة الأدب بأنه:"الإتيان بموضع الإشارة في موضع الإنذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء"[٤].

- ويعرّف الحموي التورية أيضًا بأنها تعني:"أن يذكر المتكلم لفظًا مفردًا له معنيان حقيقيان،

أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خافية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد أنه يريد القريب، وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهامًا"[٥].

وإذا استعرضنا كلام البلاغيين العرب سنرى أنه على الرغم من عدم استخدامهم المفارقة باسمها؛ فإنها قد كان لها نصيب كبير من مؤلفاتهم التي ركّزت على أن بعض الكلام له وجهان، أحدهما ظاهر جليّ للقارئ يفهم منه البنية السطحية للكلام، والآخر عميق يتطلب منه إعمال الفكر بعض الشيء للوصول إلى مغزاه الحقيقي.

أمّا حديثًا فقد تعدَّدت تعريفات المفارقة، ويشبه دي سي ميويك D.c. Muecke محاولة تعريف المفارقة تعريفًا واحدًا بـ"لملمة الضباب" ويقول:"لو اكتشف امرؤ في نفسه دافعًا لإيقاع امرئ آخر في اضطراب فكري ولغوي، فلن يجد خيرًا من أن يطلب إليه أن يدون في الحال تعريفًا للمفارقة"[٦]، لكن يمكن عرض أشهر التعريفات التي تناولت من بينها:

- يرد في قاموس أكسفورد أن المفارقة Irony هو مصطلح مشتق من ironia، ومعناها الاختفاء والمُخادعة والتظاهر بالجهل[٧].

- وتعرّفها د. سيزا قاسم بالرجوع إلى وظيفتها بأنها:"استراتيجية قول نقديّ ساخر، وهي في الواقع تعبّر عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية، والمفارقة طريقة لخداع الرقابة، حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة، فالمفارقة في كثير من الأحيان تروغ الرقابة بأنها تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طيّاتها قولًا مغايرًا"[٨].

- ويعرفها دي سي ميويك بقوله:"فن المفارقة هو فن قول الشيء دون قوله حقيقة"[٩].

- ويعرّف د. محمد العبد المفارقة Irony بأنها:"صيغة من التعبير ، تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع double audience بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيًا يكمن فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه يدرك أن هذا المنطوق utterance - في هذا السياق بالذات - لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحيّة"[١٠].

ولأن المفارقة تمثل آلية من الخطاب الحجاجي، فهي تتكون من عناصر ثلاثة أساسية:

- المُرسِل: أي كاتب المقال أو صانع المفارقة، وهو د. زكي نجيب محمود.

- المتلقي: وهو القارئ يتوجّه إليه الكاتب بمقالاته، وعليه يعتمد تأويل المفارقة. والقارئ في المفارقة يتصرف في البينة اللغوية المرتبطة بالسياق وقرائن مرافقة لينجح في التوصل إلى ما يدور في ذهن الكاتب، وبالتالي فإن دوره أكبر من المعتاد فيها[١١].

- الرسالة: وتمثلها في الدراسة المقالات المنشورة في كتاب "جنة العبيط".

فالمفارقة "لعبة لغوية ماهرة بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدّم به صانع المفارقة النصّ بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض المعنى الحرفيّ، وذلك لصالح المعنى الخفيّ الذي غالبًا ما يكون المعنى الضدّ، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه، ليستقرّ عنده"(١٢).

ـ ثانيًا: كتاب "جنّة العبيط" لد. زكي نجيب محمود(١٣):

إن المتتبع لكتابات د. زكي نجيب محمود يرى أنه يسيطر عليها فكرتان وهما: حرية الإنسان وعقلانية التفكير، وقد اعتبر الفكرتين أساسيّتين في تكوين شخصية المصري الجديد القادر على مسايرة عصره، غير المكتفي بالقديم؛ بل يوظف القديم بجانب ما يبدعه من فكر جديد(١٤).

وقد انشغل بنقد الحياة الاجتماعيَّة ـ كما سيظهر في مقالاته ـ، وتحدث عن فكرة تخلّف المجتمع وضرورة تقدّمة؛ حيث يرى:"أن الحاضر قد هضم الماضي ثم أضاف جديدًا تلو جديد مما أنتجته السنون. ومعنى ذلك ألا يكون العصر الذهب وراء ظهورنا، بل أن يكون موضعه الصحيح هو المستقبل الذي يعمل الناس على بلوغه"(١٥). ولأنه كان يعيش في انجلترا فقد كان دائم المقارنة بين المجتمع هناك والمجتمع المصري، وكان يرى أنه في انجلترا تُصان لكل فرد كرامته دون أن يكون لاختلاف أنواع العمل أثر في أن يتعالى أحد على أحد، أما في مجتمعنا فمهما أطلقنا اللسان بكلمات الحرية والمساواة فنحن نضمر في أنفسنا أخلاق النظم التي تقسّم الناس إلى سادة وعبيد، ولذا فقد أطلق ثورته على "القيم" كما هي قائمة في حياتنا، بحيث تسمح للمستبد أن يستبدّ، وتجيز لذليل النفس أن يذل، كما ذكر في كتابه "ثقافتنا في مواجهة العصر"(١٦).

وكتابه "جنّة العبيط" ضمّ سلسلة من مقالاته تبلغ ثلاثة وعشرين مقالًا، كتبها في لندن، لتُنشر في مجلَّة الثقافة في مصر، ثمّ جُمعت بعد ذلك في كتاب "جنّة العبيط" في عام ١٩٤٧(١٧) ضمّنها أفكاره التي تبنّاها في حياته بأسلوبه الفلسفي الأدبيّ. لذا فالبحث يعالجها باعتبارها خطابًا حجاجيًا إقناعيًا وظف فيه الكثير من الأساليب الحجاجية كالاستفهام والمجاز والتكرار والتمثيل وغيرها، صيغت هذه الأساليب بطريقة مفارقيّة تقوم على التناقض والتعارض، الذي يدفع المتلقي للوقوف عند كلّ تقنية استخدمها الكاتب تضمّنت معنى مفارقيًا، محاولًا فهم مغزى الكاتب، ومن ثَمَّ تحدث عملية الإقناع التي هي أساس الخطاب الحجاجي. لذا فقد عُدّت المفارقة أو السخرية من أهم الأساليب الحجاجيَّة(١٨)، عالج عن طريقها تلك القضايا التي رفض وجودها في المجتمع المصري، سواء كانت سياسية أو اجتماعيَّة مقارنًا إيّاها بالمجتمع في إنجلترا. فوّجه انتقاده عن طريق استخدام المفارقة التي انحصرت في أربعة أنواع وهي: مفارقة النغمة، والمفارقة اللفظيّة، ومفارقة الحكاية أو الإيهام، والمفارقة البنائية، وجاءت على النحو التالي:

ـ مفارقة النغمة Irony of tone:

يعرّفها د. محمد العبد بأنها تعني:"أداء المنطوق ـ على الكلية ـ بنغمة تهكمية، يعول عليها في إظهار التعارض أو التضاد، بين ظاهر المنطوق وباطنه، بين سطحه وعمقه، بحيث تقتلع هذه النغمة التهكمية، محتوى ذلك الظاهر لمصلحة الباطن المضاد"(١٩).

أي أنها تتمثل في التناقض الذي تظهره اختلاف نغمة كلمات بعينها في الخطاب. وقد تمثلت في مقالات زكي نجيب محمود في الاستخدام التهكمي لبعض الألقاب، التي نصّ عليها ليتش Leech؛ حيث ذهب إلى أن بعض الألقاب مثل "السيد" أو"السيدة" أو "فخامتكم" التي تستخدم تهكمًا من أناس لا تصلح لهم مثل هذه الألقاب، أي ليسوا أهلا لها على الإطلاق(٢٠).

وقد وردت في المقالات(٢١) في المواضع التالية:

◄ يقول د. زكي نجيب محمود في مقالته "أدب المقال":"ويعرّف "جونسون" ـــ ومكانته من الأدب الإنجليزي معروفة ـ يعرّف المقالة فيقول: إنها نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها، وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية في شيء.

أين هذا من المقالة الأدبية في مصر؟ لقد سمعت أديبًا كبيرًا يسأل أديبًا كبيرًا مرة فيقول: هل قرأت مقالي في هلال هذا الشهر؟ فأجابه: أن نعم، فسأله: وماذا ترى فيه؟ هل ترانـي أهملت نقطة من نقط الموضوع؟ فأجابه قائلًا: العفو، وهل مثلك من يهمل في مقالة يكتبها شاردة أو واردة؟! هذه هي المقالة عند قادة الأدب: أن تكون موضوعًا إنشائيًا مدرسيًا كل فضله أنه جميل اللفظ واسع النظر، فالفرق بين مقالة الأديب وموضوع التلميذ فرق في الكم لا في الكيف..فلله درك يا معلم اللغة العربية في المدارس المصرية! إنك لتتعقب بتأثيرك شيوخ الكتّاب بين كتبهم وأوراقهم، كأني بك تضغط على أذن الكاتب بين إبهامك وسبابتك حين يحمل قلمه ليكتب، مذكرًا إياه: هل وفيت نقط الموضوع؟! أين نقط الموضوع؟!" [جنة العبيط، ص١٠ـ ١١].

تظهر مفارقة النغمة هنا في استخدام "أديبًا كبيرًا" و"قادة الأدب" في سياق ساخر يعكس فيه د. زكي نجيب محمود حالة "قادة الأدب" في مصر؛ حيث لا فرق بينهم وبين التلميذ في الكتابة سوى الكم؛ لأنه يراهم يهتمّون بكمّ الموضوع المكتوب لا بكيفيّة.

وهو يعمد في مفارقته هنا استخدام المقارنة بين قادة الأدب عندنا في مصر وقادته في إنجلترا؛ حيث يقتبس تعريف "جونسون" للمقالة كي يُظهر البون الشاسع بين معيار تقييم المقالة في البلدين.

كما أنه يستخدم الحوار الساخر بين الأديبيْن المصرييْن ليعكس حدّة المفارقة التي صنعها قوله "أديبًا كبيرًا" و"قادة الأدب". ويزيد من حدّة السخرية أيضًا استخدامه التعبير الانفعالي "لله درّك!".

◄ وفي مقال "البرتقالة الرخيصة"، يقول:"فالمقالات عند سادتنا تُقرأ من أذيالها لا من رءوسها". [جنة العبيط، ص١٩].

وردت المفارقة هنا في استخدام كلمة "سادتنا" التي تحمل نغمة ساخرة من حكم مَنْ هم في موضع السيادة، وفي الحقيقة هم ليسوا بسادة؛ فالسيادة هي أن تعطي كلّ حق حقه وتقدر كلّ عمل قدره، أمّا أن تقلب المنطق فتقيم الذيل مقام الرأس، فذلك ليس من السيادة في شيء.

يعيـب د. زكـي نجيـب محمـود علـى سـوء تقيـيم السـادة لمقالـه الـذي بـذل فيـه جهـدًا، فيقول:"أشقيت...مقالة جيدة ممتازة..حملتها فخورًا..أرقـب كلمـة التقـدير.."، يسـتخدم هنـا الألفـاظ والتعبيرات الانفعاليّة بوصفها مقدّمة يُطيل فيها، كي يرفع من حدّة النغمة التي وردت بعد ذلك فـي استخدامه المفارقي لكلمة "سادتنا"، ويختم كلامه بعد ذلك بقوله:"وهأنـذا أتبـيّن اليـوم أن مقـالتي ـ ككتابك ـ برتقالة رخيصة".

◄ وفي مقال "خطيب خطيب هايـد بـارك"، يقـول:"ألقى مكيـافلي درسـه علـى أميـره. وكان درسًا في سياسة الملك، فلقفه من فمه أصحاب الفطنة وجعلوه دستور الحياة؛ فليس المهـم أن تكون ذا علم، وإنما المهم أن يعدّك الناس بين العلماء".[جنة العبيط، ص٤٥].

تمثّلت مفارقة النغمة هنا في استخدام التعبير "أصحاب الفطنة"، فهو هنا يذكرها سخرية ممَنْ آمن بما قاله مكيافلي لأميره؛ حيث قـال لـه إن القسـوة والـبطش وخـداع الشـعب هـي السـبيل الأمثل لحكم الشعوب. فهو لا يراهم أصحاب فطنة كما ذكر؛ لكنّه يخلع عليهم هذا الوصـف تهكمًـا على حالهم؛ فليس من الفطنة في شيء أن تخدع الناس فتكـون بيـنهم عالمًـا، وأنـت لـيس لـك مـن العلم شيء.

وهو في استخدامه المفارقة هنا يسخر من كلّ مَنْ رُفع ذكره بين النـاس أو تقلّـد منصـبًا، وهو في الحقيقة لا يستحقّ ذلك، فهو يقول بعد ذلك مواصلًا مفارقة النغمة: "وكم من رجـل رأيتـه يتربّع على كرسيه رزينًا رصينًا وعلى وجهه مخايل العلم والحكمة، وقد علـق فـوق رأسـه قيثـارة فخمة ضخمة مشدودة الأوتار؛ فتأتي إلاهة الشهرة فتربّت على كتفه فخورًا بابنها النجيب".

فيبالغ في حدّة السخرية في المفارقة عن طريق:

ـ استخدام "كم" للدلالة على كثرة مَنْ تقلّدوا مناصب لا يستحقّونها؛ أي كثرة مَـنْ أطلـق عليهم ـ مفارقةً ـ "أصحاب الفطنة".

ـ المبالغة في وصف حاله ونقل صورته:"يتربّع على كرسيّه ... رزينًا..رصـينًا ...علـى وجهه مخايل العلم والحكمة..علّق فوق رأسه قيثارة ضخمة مشدودة الأوتار"، وهذا كلّه إمعانًا فـي السخرية من حاله.

ـ استخدام الصفة "النجيب" التي تحمل أيضًـا مفارقـة فـي نغمتهـا؛ فهـو لا يراهـا نجيبًـا وإنّما ينعته بذلك تهكمًا. واستخدامه أيضًا "إلهة الشهرة" يزيد من حدّة نغمة المفارقة في النصّ.

◄ وفي مقاله "قصاصات الزجاج" يقول د. زكـي نجيـب محمـود متحـدثًا عـن صـديقه الذي صنع نافذة من الزجاج المكسور:"حمل صاحبنا نافذته وقصد بها إلى أحد السـادة رعـاة الفـن الجميل وهو كالليث في مربضه:

ـ ما هذا الذي جئتني به؟

ـ نافذة صنعتها.

ـ وأنى لك الزجاج؟

ـ قصاصات جمعتها.

وضحك السيد الذي كان من رعاة الفن الجميل، وقال: يؤسفني يا بني أن أقول إننا في هذا الدار قد تواضعنا على ألا ننعت بالفن نافذة قوامها القصاصات، فهأنت ترى النافذات التي وجدت طريقها إلى جدراننا ألواحًا كاملة، وحمل المسكين نافذته وعاد إلى مأواه".[جنة العبيط، ص٧٧].

تتضح مفارقة النغمة هنا في استخدام التعبير "السادة رعاة الفن الجميل" سخرية منهم، فلا هم بسادة ولا برعاة الفن الجميل، والدليل على ذلك هو التناقض الذي ظهر بعد ذلك في كلامه الذي يعكس سخرية الرجل من نافذة صديقه لأنها صُنعت من قصاصات الزجاج، ولا يليق بها أن تكون بين الألواح الكاملة التي علت الجدران. وهو يكرّر التعبير نفسه بعد ذلك بقوله:"إن حدث لك يا صديقي أن تقرأ هذه السطور، فنصحي لك أن توئسك أحكام السادة الذين هم في أرض الوطن العزيز رعاة الفن الجميل؛ إنهم لن يزهقوا أرواحهم يأسًا حين يرون أنفسهم صغار الفكر بالقياس إلى فكرك، ضئال الهمة بالقياس إلى همتك، كما فعل أستاذ الفم مع صبيه الموهوب، بل هم سيسحقونك أنت سحقًا وهم سينحرونك أنت نحرًا، ليبدو قليلهم كثيرًا وضحلهم غزيرًا".

يذكر د. زكي نجيب محمود هذه المفارقة بعد ذكره القصّة نفسها؛ لكن مع أشخاص آخرين في إنجلترا، مع اختلاف ردّ الفعل؛ حيث يروي أن غلامًا صنع نافذة من قصاصات الزجاج وعرضها على أستاذه، ودار بينهم الحوار نفسه الذي دار مع صديقه لكن ردّ فعل أستاذه كان:"ورأى الأستاذ في نافذة الغلام فنًا لا يقاس إليه فنه، وكبر عليه الأمر فانتحر".

فقد صاغ مفارقته عن طريق المقارنة بين قصتين في بلدين مختلفين، أظهر ردّ الفعل في القصّة الأولى حدّة المفارقة والمبالغة في التهكُّم ممَنْ لا يقدِّرون قيمة الفنّ في بلدنا؛ حيث وسمهم بـ"السادة رعاة الفنّ" ولم يكتفِ بذلك بل وصف هذا الفن بأنه "جميل".

ويمكن إيجاز الأدوات التي استخدمها الكاتب لدعم حُجّته المفارقية عن طريق:

- استخدام المقارنة بين قصّتين في بلدين مختلفين.
- استخدام التكرار التهكمي "السادة رعاة الفن الجميل" تأكيدًا على المعنى العكسي. والتكرار في "سيسحقونك أنت سحقًا..سنحرونك أنت نحرًا" الذي يعكس إصرارهم على الفعل.
- استخدام التضاد "ليبدو قليلهم كثيرًا وضحلهم غزيرًا"، وهو يدل على أن رفضهم للجميل من الفن ينبع من عقدة نقص لديهم، كما أنه يقوّي النغمة التهكميَّة التي تظهر في قوله "السادة رعاة الفن الجميل".

◄ ويقول د. زكي نجيب محمود في مقال "الكبش الجريح" في حواره المتخيّل مع الخروف:

"قال: كيف عرفتني خروفًا وقد تخفيت في ثياب الرجال؟.
قلت: عرفتك في مائة موضع وموضع، أسوق لك منها مثلين:

عرفتك حين أردت أن تخاطب سيدك الذئب يومًا، فضغطت على القرطاس بحافر وأمسكت القلم بحافر، وهززت قرنيك تفكر كيف توجه إلى الذئب الخطاب، بحيث تباعد بينك وبينه، كأنه السليم وكأنك الأجرب".

تظهر مفارقة النغمة هنا في لفظ "سيدك" الذي يستخدمه في السياق هنا تهكمًا من الخروف، فالذئب ليس سيّدًا للخروف؛ لكنّه ضِعة الخروف هي مَنْ جعلت منه سيدًا عليه، فهو يخاطبه بعد ذلك قائلًا:"إنك تعلم أن قوانين الغابة تجعل منكما زميلين من ذوات الأربع، فلو خاطبته بقولك "إلى الذئب" لما كان عليك لوم ولا عتاب؛ لكنك استكبرته واستصغرت نفسك، أعززته وأذللت نفسك...". [جنة العبيط، ص١١١].

تظهر نغمة السخرية في المقال كلّه، وهنا نرى أن الاستعانة بالرمز والوصف قد ضاعف من حدّتها؛ حيث يصف الكاتب شكل الخروف وهو يتوجّه بخطابه إلى الذئب، مُبالغةً في نقل صورة حيَّة له تعكس رضاه التامّ بالذلة.

ثمّ نرى بعد ذلك عدم اقتناع الخروف بذلته فلا يقتصر بمناداته بسيّدي، وإنما يكتب ثمّ يمحو ما كتب ليبالغ أكثر في ذلّته، فيكتب له:"سيدي حضرة الذئب/سيدي ومولاي حضرة الذئب/سيدي ومولاي حضرة صاحب المجد الذئب" حتى يصل إلى مناداته بـ"سيدي ومولاي حضرة صاحب المجد ذئب الذئاب وملك الغاب" وهنا"افترت شفتاك عن ابتسامة رأيت فيها الغبطة والرضا"، وكأنه لم يكتفِ بما سبق من ذلّة، فآثر أقصى درجة فيها.

◀ ويقول في مقال "لماذا لا نخلق؟ ١":"ولكن مهما أنسيت فان أنسى أبد الدهر مقالًا قرأته لأديب فاضل جليل فنزل على نفسي نزول الصواعق...قرأت مقالًا ينهى فيه الأديب الجليل الفاضل ابنه أن يحزن لمنظر بائس جائع يجمع الفتات من ثنايا القمامة والروث والطين، قائلًا لابنه: يا بني لا يجمل بك أن تحزن فهذا حكم القدر". [جنة العبيط، ص١٧١].

جاءت مفارقة النغمة هنا متمثلة في استخدام الصفات "فاضل جليل...الجليل الفاضل"، فاستخدامه هذه الصفات لا ينبغي لها أن تُخلع على شخص يوجّه ابنه إلى عدم التعاطف مع جائع يجمع الفتات من ثنايا القمامة.

- المفارقة اللفظيّة Verbal irony:

وهي شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، يخالف غالبًا المعنى السطحي الظاهر، كما أنها كانت تُصنّف تصنيفًا تقليديًا على أنها إحدى صور المجاز، كما يشير آبرامز Abrams [٢٢]، فهي تغير في المعنى أو تغير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، ولابد هنا من حدوث انقلاب في الدلالة.

ومن نماذج المفارقة اللفظية التي وردت في المقالات ما يأتي:

◀ يقول د. زكي نجيب محمود في مقاله "شيطان الجرذ" على لسان أمّ فأر نشيط لا يركن إلى الكسل:"فكانت تستقبله في لهفة الأم الحدبة الحنون وتكيل له عظات السنين نصحًا بألا ينصاع لدعوة شيطانه الخبيث: ألا ترحم يا ابناه أمّك المكتهلة؟ ما ضرّك أن تهد! في كمينك بين

ذراعي وأمام بصري؟ لئن يكن قد أغراك بالدنيا رعدها وبرقها، فما ذاك يا ولدي إلا رعد خُلَّبٌ وبرق كذوب! وإن يكن قد أهاب بك صوت المجد، فما ذاك يا بني إلا صيحة الشيطان فيك، يأبى عليك الأمن فينصب لك حبائل الموت باسم المجد والخلود...ماذا تجدي عليّ الدنيا بأسرها إن راعك سنَّور فدهاك ففجعني فيك؟ القناعة القناعة يا ولدي". [جنة العبيط، ص٢٨].

ظهرت المفارقة اللفظيَّة هنا في استخدام لفظ "نصحًا" في سياق لا يتناسب معه، وبالتالي ظهر التناقض. فالمعروف أن النصح يكون لفضائل الأعمال، وهذا ما لا يحققه كلام أمّ الفأر لابنها، فهي تريد أن تقعده عن السعيّ والكدّ والتطلّع إلى العلا، إلى الركون إلى الدعة والرضا بالراحة طلبًا للسّلامة من الأذى.

مثّلت المفارقة اللفظية هنا حُجّة كُبرى ضمّنها زكى نجيب محمود حُججًا صُغرى دعمتها وأظهرت السخرية فيها بوضوح، كما يلي:

- المُبالغة التي يحملها الاستخدام المجازي للفظ "تكيل": فلم يستخدم الفعل "تنصح"؛ وإنّما عدل عنه لاستخدام التعبير المجازي "تكيل له.. نصحًا" إمعانًا في السخرية منها.

- محاولة إخماد الصوت الذي يدعوه إلى السعي والدأب عن طريق وصفه بـ"الشيطان الخبيث": وهنا يظهر التناقض بشكل جليّ؛ فالشيطان الخبيث هو الذي يُقعد عن العمل والسعيّ لا العكس، وبالتالي فهذا يزيد من حدّة السخرية التي تحملها المفارقة.

- استخدم الجمل الاستفهامية التي من شأنها تؤثّر في الابن وتثير ذهنه للتفكير في العدول عن شيطانه الخبيث، فهي تستعطفه بقولها:"ألا ترحم يا ابناه أمّك المكتهلة؟ ما ضرّك أن تهد! في كمينك بين ذراعي وأمام بصري؟"، وتستخدم أسلوب التخويف بقولها:" ماذا تجدي عليّ الدنيا بأسرها إن راعك سنَّور فدهاك ففجعني فيك؟"؛ أيّ أنّ نشاطه هذا قد يكلّفه حياته إن دهمه قط وحشيّ فأكله.

- الإقناع العقلي: عن طريق استخدام الجمل الشرطية:" لئن يكن قد أغراك بالدنيا رعدها وبرقها، فما ذاك يا ولدي إلا رعد خُلَّبٌ وبرق كذوب! وإن يكن قد أهاب بك صوت المجد، فما ذاك يا بني إلا صيحة الشيطان فيك، يأبى عليك الأمن فينصب لك حبائل الموت باسم المجد والخلود...".

تمثّل أم الفأر هنا الصّوت الدّاعي للتقاعس والرضا بالدون من العيش، أمّا الشيطان فهو صوت الضمير الدّاعي إلى السعي والنشاط، ويرمز السنّور إلى المتاعب التي لا تخلو الحياة منها. ولو رُمز إلى معنى من هذه المعاني بما يناسبه حقًّا لكانت أمّ السنّور هي الشيطان؛ ومن هنا يأتي التناقض الذي تصنعه المفارقة الذي يمتدّ في المقال فيأتي على لسان الجرذ قوله بعد أن تمكّنت أمّه من إقناعه بالاستكانة :"صدقت يا أماه، فلن أبرح الدار بعد اليوم...كلا! إن هذا الشيطان العابث ليزخرف لي الرذيلة بإكليل المجد الزائف، ويشوّه في عيني الفضيلة فيسمّيها لي استكانة وخضوعًا".

وقد وردت مفارقة النغمة أيضًا متمثلة في استخدام "النصح" في مقال "خطيب هايد بارك"؛ يقول زكي نجيب محمود:"قال "مكيافلي" لأميره ناصحًا: ليس المهم أن تكون رحيمًا بشعبك، إنما المهم أن يقال عنك إنك رحيم، فاقسُ ما شئت، وابطش بمن شئت، لكن ليكن لك في

ذلك فن يخدع الناس عن حقيقة نفسك، فإذا أنت في ظنهم الأمير الذي يحنو على البائس ويعطف على المحروم".

◄ ويقول في مقاله "جنة العبيط":"عدت إلى جنتي، أنعم فيها بعزلتي، كأنما أنا الصقر الهرم، تغفو عيناه، فيتوهم أن بغاث الطير تفري جناحيه، ويعود فيغفو، ليـنعم في غفوته بحلاوة غفلته". [جنة العبيط، ص٤٩].

تظهر المفارقة اللفظية هنا من استخدام كلمة "حلاوة" مع "الغفلة"، فالمعروف أن "الغفلة" أمر سيئ يُهرب منه؛ لا أن يُنعم به، وهو يستخدم "حلاوة غفلته هنا" سخرية من حال "العبيط" الذي اترضى الغفلة واستحلى العيش بها.

◄ ويقول في مقال "الكبش الجريح":"إنما يقع اللوم والتثريب على صاحبنا "الخروف" الذي استمرأ ضرب المخالب واستلذ وقع الأنياب، دماؤه تسيل وعلى شفتيه ابتسامة، ويلغ الذئب فيه ويلعق وفي عينيه نظرة استسلام ورضا". [جنة العبيط، ص١٠٧].

ظهرت المفارقة هنا في استخدام الكلمات "استمرأ ...استلذ...ابتسامة...نظرة استسلام ورضا" التي لا تتناسب مع سياق الكلام التالي، فضرب المخالب لا يُستطاب، ووقع الأنياب لا تكون معه لذّة، كما أن منظر الدماء لا يستدعي الابتسامة، والعدوان لا يناسبه الاستسلام والرضا من المُعتدَى عليه؛ لكنّه التناقض الذي تصنعه المفارقة سخرية من شدّة الذلة والخضوع والاستكانة التي ارتضاها "الخروف" من قِبَل الذئب.

استخدم الكاتب في مقاله هنا رمزيْن:

- الخروف: وبه يرمز إلى مَنْ رضي بالذلة من الشعب، وارتضى حال العبيد.
- الذئب: وهو السيّد المعتدي الذي لولا ذلّة الخروف ما اعتدى ولا استذلّه.

وهو هنا يستخدم الألفاظ/التعبيرات الانفعاليّة: "استمرأ/استلذ/على شفتيه ابتسامة/نظرة استسلام ورضي" في مقابل "ضرب المخالب/وقع الأنياب/دماؤه تسيل/يلغ الذئب فيه ويلعق"، إمعانًا في المبالغة في وصف حالة الذلة التي رضي بها الخروف في مقابل القسوة التي هي أصلًا من طباع الذئب، فإنه لا يرقّ لحاله؛ وإنما يسخر منه، فهو نهاية المقال يخاطبه بقوله:"قل في ذلك ما شئت يا خروف، لكنه عندي علامة لا تخطئ على ما في نفسك من ذل العبيد، الذي يستمرئ ضرب المخالب ويستلذ وقع الأنياب".

- مفارقة الحكاية أو الإيهام:

وتمثّل خطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في الأمر نفسه، فهو حكاية زعم المخاطب أو المتحدَّث عنه في المفارقة عن طريق الاختيار من الألفاظ ما يحكي هذا الزعم ويوهم أنه حقيقي ومقرَّر في الوقت الذي تزدريه وتسخر منه؛ ويعني هذا أن اللفظ المختار له معنييان أحدهما قريب: توهم به المفارقة بصحة المعتقد، والآخر بعيد تنقض به المفارقة هذا المعتقد وتنفيه، لتثبت ضده تمامًا(٢٣).

وهي أكثر صور المفارقة دورانًا في مقالات د. زكي نجيب محمود؛ حيث يعمد إلى ذكر ما يأخذه على المجتمع بطريقة ساخرة، قاصدًا عكس ما يظهره في الأسلوب، ومن النماذج التي وردت في المقالات:

◄ ويقول في مقال "البرتقالة الرخيصة" أيضًا بعد رفض مقالته التي شقي في كتابتها وقُوبلت بالرفض من صاحب الجريدة التي تقدم إليه بها:"فخير لنا وأقوم أن نكون تفاحًا معطوبًا من أن نكون برتقالا جيدًا لذيذًا". [جنة العبيط، ص١٩].

تأتي المفارقة هنا حكاية عن منطق السادة في الحكم على الأعمال الأدبيّة استنادًا إلى أسماء أصحابها لا إلى جودة العمل وإتقانه. فهو يسخر من منطقهم هذا عن طريق استخدام المفارقة التي استند فيها إلى المجاز؛ حيث استخدم الرمزيْن:

- التفاح المعطوب: وعن طريقه يشير إلى الأشياء التي تظهر بمظهر يخطف الأنظار؛ بينما هي في جوهرها لا شيء، كالتفاح الذي يبدو أحيانًا للناظرين نضرًا لامعًا؛ بينما هو يحوي العطب بداخله، فهو خادع بطبيعته.
- البرتقال الجيّد اللذيذ: وعن طريقه يشير إلى الأشياء التي يتوافق ظاهرها مع الباطن، كالبرتقال الذي إن بدا جيدًا من الخارج دلّ ذلك على صحّة داخله، والعكس بالعكس، فهو صادق بطبيعته.

فهو هنا يدعم حُجّته عن طريق توظيف مفارقة الحكاية التي تحكي زعم أولي الأمر، الذي يرفضه ويسخر منه، ويوظّف المجاز في المفارقة إمعانًا في السخريّة، كما أنه يستخدم اسم التفضيل في البداية "خير" تهكمًا، فهو خيرٌ من وجهة نظر مَنْ ينتقدهم ويعيب عليهم؛ لا من وجهة نظره هو.

◄ وفي مقاله "ذات الملّيميْن" يقول متحدثًا عن صديقه الذي جاء يشكو إليه عبوس علية القوم لمّا أراد أن يخالطهم:"فقلت له وقد تلقيت العبرة من ذات الملّيمين: أعلم أن في النقود ريالات ومليمات، فإن وَجَدتْ واحدةٌ من ذوات الملمين نفسها بين الريالات فظنت نفسها "عضوًا" في هذه "الجماعة" فأصابها ما أساء إليها وأشقاها فليس الذنب ذنب الريالات المتكبرة، لكنه ذنب ذات المليمين لأنها أرادت أن تكلف الأشياء ضد طباعها، إذا أرادت ـ خطأ ـ أن تكون ريالًا". [جنة العبيط، ص٢٦].

استخدم المفارقة هنا أداة لدعم حُجّته التي ترفض الفوارق الطبقيّة في المجتمع عن طريقة حكاية زعم المُخاطَب وهو أن الذنب كلّه يعود على صديقه الذي اختار لنفسه مكانًا بينهم، فأهانوه.

وقد استعان د. زكي نجيب محمود هنا بالرمز، كما يلي:
- البشر: ويرمز لهم بالنقود التي تتفاوت قيمة كلّ واحدة منها.
- الريالات: وهم عِلْية القوم.
- الملّمين: ويرمز به إلى الطبقة الدُّنيا من المجتمع.

واستخدام الرمز يُستخدم دائمًا للإشارة إلى معنى بعيد عن طريق شيء قريب، وقد وظّف زكي نجيب محمود النقود لدعم حُجّته البعيدة وهي: أن عِلْية القوم الذين وصفهم بـ "التكبُّر" هم مَنْ كلّفوا الأشياء ضدّ طباعها، وضدّ ما كان من المفترض أن تكون عليها، ومن ثمَّ فالذنب ذنبهم من البداية لا ذنب مَنْ رغب في الصّعود ليكون بينهم.

اتّضح التناقض (الذي هو أساس المفارقة) هنا في هذا النموذج عن طريق:
- استخدام الملّيميْن في مقال الريالات.
- استخدام الصّفة "المتكبّرة" لوصف الريالات.
- استخدام القصر "لكنّه ذنب ذات الملّيميْن" بعد وصف الريالات بالتكبُّر؛ تأكيدًا على نسبة الذنب للرّيالات.
- استخدام التعليل للتوضيح "لأنها أرادت أن تكلّف الأشياء فوق طباعها".
- استخدام الكلمة الاعتراضيَّة "خطأ" امتدادًا للسخرية من منطقهم، فالعكس هو الصحيح.

اجتمعت هذه الأدوات لإظهار التناقض لدعم حُجّة الكاتب.

◀ يقول د. زكي نجيب محمود في مقال "ثورة في خزانة الكتب" الذي يتناول فيه فكرة أنه ينبغي أن تسود في الدولة أرستقراطية العقل محلّ أرستقراطيّة المال:"إن شيخًا في الطابق الأسفل قيل إن به مسا من جنون قد جاءني منذ أيام يقص علي قصة الإصلاح الذي يريده لأمتي، فأعرضت عنه وتوليت، وما كان ينبغي أن أفعل".[جنة العبيط، ص٣٩].

تأتي المفارقة هنا متجلية في وصف الشيخ الذي يريد صلاح الأمة بـ"الجنون"، حكاية عن زعم كلّ مَنْ لا يروق له هذا الإصلاح ممَنْ ساد الطبقة العليا في الدّولة وهو لا يستحقّ تلك السيادة. ويأتي سياق الكلام بعد ذلك موضحًا طبيعة ذلك الإصلاح، فيقول زكي نجيب محمود على لسان الشيخ:"أريد أن تسود في الدولة أرستقراطية العقل مكان أرستقراطية المال وغير المال من الأعراض التي لا تمت إلى طبيعة الإنسان في شيء، فهذا الفرد وهذا وذاك ممن تنطوي صدورهم على تفكير ناضج سليم وتتألف خواطرهم التي نقشت على صدورهم من فلسفة وعلم رصين، لهم من الدولة المكان الأعلى؛ وهذا الفرد وهذا وذاك ممن تغلب عليهم العاطفة فينطقون بآيات من الشعر والنثر، لهم من الدولة المكان الأوسط، لأن العاطفة عندهم عندي في منزلة دون العقل الخالص، ثم أحشر في الطابق الأسفل من رعيتك أصحاب العقول الفارغة والصدور الخاوية، مهما يكن حظهم من ضخامة عنوان وجمال أوراق".

فما ذكره الشيخ هو نقيض الجنون؛ إنه العقل وهو النظام الذي من المفترض أن تقوم عليه الدّولة؛ لذا فقد بدا التناقض واضحًا من استخدام كلمة "الجنون" حكاية على لسان كلّ مَنْ لا يروق له لا صلاح الأمّة، ولا يعجبه سيادة العدل بين طبقات شعبها.

◀ ويقول في مقال "خطيب هايد بارك" مُخاطبًا الخطيب الذي قابله في حديقة هايد بارك:"وبربِّك لا تقل لا ينبغي أن يكون لعربيّ فضل على أعجميّ إلا بالتقوى، فتلك حكمة القدماء". [جنة العبيط، ص٤٨].

تأتي المفارقة هنا حكاية عن حال يُنكره هو؛ لا حكمة يؤمن بها. فهو يرى أن الحكم السائد في عصره في المفاضلة بين الناس ليس مردّه "التقوى"؛ وإنّما مردّه قوانين دنيويّة أخرى لا علاقة لها بالتقوى، وضعت كثيرًا من الناس في أماكن ليست لهم، فضاعت المبادئ وتاه أصحاب المعادن الصادقة.

وهو يواصل أسلوبه المعتمد على مفارقة الحكاية عن طريق إظهار التناقض بين ما يؤمن به وما يراه واقعًا، فيختم مقاله بقوله:"فامزج صفاءك بالعكر، ولا تقل إن الصفاء خير من القَذَر، فتلك حكمة القدماء".

◄ ويقول في مقال "جنة العبيط" متحدثًا عن الغرب:"كن عندهم فقيرًا ما شئت، أو كن عندهم غنيًا ما شئت، لكنك إنسان. كن عندهم ضعيفًا ما شئت، أو كن عندهم قويًا ما شئت، لكنك إنسان. كن عندهم زارعًا أو صانعًا، فأنت إنسان. كن عندهم خادمًا أو مخدومًا وأنت في كلتا الحالتين إنسان؛ كأنهم جماعة من النمل لا تختلف فيها نملة عن نملة!... وأقرن فوضاهم هذه بالنظام في جنّتي، فأحمد الله على سلامتي". [جنة العبيط، ص٥٥].

تأتي مفارقة الحكاية أو الإيهام هنا من استخدام كلمة "فوضاهم" في مقابل كلمة "النظام"؛ فما ذكره هو النظام بعينه؛ أمّا الفوضى فهي التي شاعت في جنّته. وقد ظهرت حدّة التناقض هنا عن طريق استخدام التكرار الذي يؤكّد على فكرة النظام ويظهر تعدّد صوره عند الغرب، الأمر الذي يجعل إطلاق وصف "الفوضى" عندهم بعد ذلك في السياق تناقضًا، ومن ثَمَّ يُظهر حدّة المفارقة.

ثمّ يسوق بعد ذلك مثالًا يعتمد على المفارقة بين النظام والفوضى، فيقول:"أرادت زوجتي في جنتي أن تستخدم خادمة، فسألتها:

- اسمك ماذا؟

- بثينة يا سيدتي.

لكن زوجتي كانت بثينة كذلك، فأبى عليها حب النظام إلا أن تفرق بين الأسماء حتى لا يختلط خادم بمخدوم، وقالت في نبرة كلها مرارة، ونظرة تشع منها الحرارة:

- ستكونين منذ اليوم زينب، أتفهمين؟

- حاضر، سيدتي.

وبثينة بالطبع لم تفهم لمذا تكون منذ اليوم زينب، لأنها جاهلة صغيرة، لم تفهم ما الفضيلة وما الرذيلة".

وهو في هذا المثال يحكي زعم مَنْ يرون الغرب بيئة يشيع فيها الفوضى لمجرّد أنّهم غير مسلمين، فهو يقول في موضع آخر في المقال ساخرًا:"بل إن هذا الغرب المنكود ليسير إلى هاوية ليس لها من قرار إذ هو يسعى إلى محو الفقر محوًا، حتى لا يكون لفضيلة الإحسان عنده موضع! فاللهم إني أحمدك أن رضيت لي الإسلام دينًا، وجعلت لي الإحسان ديدنًا".

فاستخدام كلمة هاوية مع قوله "إذ يسعى إلى محو الفقر محوًا" يعكس التناقض في الأسلوب، فهو بمحوه الفقر يسير إلى العلا لا إلى الهاوية؛ أمّا مَنْ يسير إلى الهاوية فهو المجتمع في جنته هو.

وفي نهاية المقال يعود ثانية إلى استخدام مفارقة الحكاية فيقول:"كلا! لا أريد لهذا الغرب اللعين أن ينفذ إلى جنتي، ولا لمدنية الغرب أن تفسد مدنيتي؛ وإنه لتغنيني عن سيارته حمارتي، وتكفيني دون طيارته بغلتي، ما دمت عن رذيلته في حصن من فضيلتي".

فيستخدم الصفة "اللعين" سخرية ممَنْ ينعتهم باللعنة لانفتاحهم. كما أنه باستخدامه الكلمات المتضادّة في الجمل المتوازنة

هنا"سيارته/حمارتي"و"طيارته/بغلتي"و"رذيلته/فضيلتي" يظهر شدّة التناقض في مفارقته، كما أنه يبرز مرارة التهكُّم في أسلوبه.

فهو على مدار المقال يستخدم مفارقة الحكاية سخرية من "جنّته" التي يعيش فيها هو ويعيش فيها كلّ مصري قنع بالعيش فيها، واستنكر على الغرب معيشتهم. فالحقيقة هي أنه يرى أن الجنّة هي هناك لا هنا، ولذلك نعت نفسه في عنوان المقال بـ"العبيط"، وهو في الحقيقة يريد أن يخلعه على كلّ مَنْ يرتضي الحياة في مصر، ويراها جنّة.

◄ ويعدّ مقاله "في سوق البغال" كله نموذجًا لمفارقة الحكاية أو الإيهام؛ حيث يتخذ "البغال" رمزًا يشير به إلى المصريين، فيقول:"منذ مائة عام عرضت في ساحة السوق من الجزيرة جماعة من البغال للبيع والشراء جيء بها من أرض في شمال أفريقيا"، ثمّ تأتي مفارقة الحكاية أو الإيهام في المقال متمثلة في ثورة البغال على طريقة تقويم الشارين لها؛ حيث كانوا يقوّمونها حسب قدرتها على الحمل والجر، ومدى خلوّها من العيوب، فثاروا على تلك الطريقة واختاروا واحدًا منهم ليتحدث باسمهم، فجاءت المفارقة على لسان هذا البغل الذي تزعمهم متمثلة في الحوار الذي دار بينه وبين صاحب الأمر:

"قال البغل الزعيم لصاحب الأمر: لقد نزعتم عنا اللُّجُم والسروج، فماذا أبقيتم لنا مما تتم به المفاضلة بين الجيد والرديء؟ فما بغل بغير سرجه ولجامه؟ وفيم هذا الجس في عضلاتنا، وهذا الإرهاق كله في فحص أجسادنا؟ إن ذلك بدع لم نعتده في بلادنا؟". يُريد هنا أن يحكي أن معيار المفاضلة بين الناس في مصر يعتمد على مظهرهم لا الجوهر؛ ولذا كان اعتراض البغل، فسأله التاجر"كيف إذًا يسوّم البغال في بلادكم؟".

فردّ عليه البغل الزعيم:"في بلادنا لا الزبد يذهب جفاءً ولا ما ينفع الناس يمكث في الأرض، فليست تخدعنا الحقائق عن إدراك الظواهر. ولا يزيغ اللباب أبصارنا عن رؤية القشور، فلنا في تسويم البغال وسائل شتى، أكثرها شيوعًا أن تتناسب قيمة البغل مع راكبة صعودًا وهبوطًا، فليس البغل يمتطيه الغني في حريره ونضاره، كالبغل يركبه الفقير في هلاهله وأسماله، وليس البغل يختار على صهوته صاحب الحول والطول، كالبغل يعلوه من ليست له سطوة وسلطان، وقد تعلو قيمة البغل لأن أباه كان مشدودًا إلى عربة أمير أو وزير، فتكسب العربة هيبة من هيبة الراكب، ويستمد البغل الوالد قيمة من قيمة العربة، ثم يأتي البغل الولد فيزداد قدرًا لازدياد قدر أبيه". يواصل هنا مفارقته عن طريق حكاية معيار المفاضلة بين الناس في مصر، فالقشور تغني عن اللباب، والذي ينفع الناس هو الذي يذهب جفاء، أما الزبد فهو ما يمكث في الأرض.

يطول سرد البغل الزعيم للطرق التي تتم بها المفاضلة بين البغال في بلده، ومعه تزداد حدّة السخرية في المقال "وطريقة ثالثة في تقويم البغال: قدرتها على الرفس، فأقواها رفسًا أرقاها مقامًا لأنه أصلحها في تنازع البقاء.."، أي أن البطش هو معيار آخر للتقويم في مصر.

ويختم حواره قائلًا:"على أننا نستخدم كذلك وسيلتكم في جس العضلات واختبار المفاصل، لكننا نقصرها على الطبقة الدنيا من البغال، فالدنيّ لا السنيّ هو الذي يمتحن امتحانًا قاسيًا قبل أن يُدفع من ثمنه قرش واحد..قال الرجل: إن كان هذا تسويمكم للبغال، فكيف تقويمكم للرجال؟ فقال البغل: ليس في بلادنا فرق كبير بين البغال والرجال". [جنة العبيط، ص٥٧ـ ٦٦].

هو في هذا المقال استخدم آلية الحوار بين زعيم البغال والتاجر وسيلة من وسائل الإقناع، صاغها بأسلوب يعتمد على مفارقة الحكاية يسخر عن طريقها من طرق المفاضلة بين الناس في مصر، فهي تعتمد على مظاهر الأشخاص وأنسابهم وقوّتهم؛ لا على جوهرهم وقدراتهم.

◄ ويقول د. زكي نجيب محمود في مقال "النساء قوامات":"أدركت البنت منذ اللحظة الأولى لحياتها الواعية ألا مندوحة لها عن إقامة الدليل على أنها إنسان كإخوتها الذكور، وإذًا فلتفكر مرتين قبل أن تنطق..ولتتدبر الأمر مرتين قبل أن تعمل، فيكفيها من مصائب الزمن أنها أنثى!". [جنة العبيط، ص١٤٨].

ظهرت المفارقة هنا من قوله "فيكفيها من مصائب الزمن أنها أنثى"؛ فهو هنا يسخر عن طريق حكاية الطريقة التي يفكر بها الناس في المجتمع المصري فيما يخصّ الفتاة؛ حيث تُعامل معاملة دونيَّة بالقياس بالرجل. وهو يرى أن هذه المعاملة التي ظلمت المرأة أكسبتها خبرة جعلتها تفوق الرجل نضجًا؛ لذا فهو يراها أحق بالقوامة منه.

◄ ويقول في مقال "قوة الخيال":"ولكن حذار أن تكون في خيالك حالمًا، فحدد خيالك بالحقائق الواقعة، وإلا طار مجهودك أدراج الرياح... فليس من الحكمة أن تطير بخيالك في الهواء، وعلى هذه الأرض ما يحتاج ألف خيال". [جنة العبيط، ص١٦٨].

ظهرت المفارقة هنا في قوله "ولكن حذار أن تكون في خيالك حالمًا"، فهو يتوجّه إلى القارئ ناصحًا إياه بسخرية ألا يحلم؛ لأن هذه البلد تقتل كلّ حلم. فهو لا يحكي قناعته وإنّما يحكي واقعًا يعيش فيه في مصر؛ حيث يراها مكانًا يقتل الأحلام؛ فيستخدم أسلوب الأمر للنصح متهكمًا من واقع يعيشه.

◄ يقول د. زكي نجيب محمود في مقال "لمذا لا نخلق؟ ٢":"فأنت فاضل إن أطعت، فاسق إن عصيت". [جنة العبيط، ص١٨٢].

تتضح المفارقة هنا من استخدامه حكي زعم الآخر ممّا لا يتّفق هو معه؛ فيسخر من علاقة الحاكم بالمحكوم، فالمحكوم فاضل ما دام يطيع حاكمه، وهو إن عصاه كان فاسقًا. يسخر زكي نجيب محمود من هذا المنطق، ويرى أن من شأنه أن يجعل المحكوم عبدًا ما دام لا يملك مشرع من نفسه يهديه سواء السبيل، بغض النظر عمّا تمليه عليه السلطة الخارجة عن نفسه.

◄ ويقول في مقاله"أخلاق العبيد":"لكن لما زعمت أننا عبيد، عجب فريق مما زعمت، وأخذ كل يتلفت حوله لعله يرى في جاره مصداق ما أقول .. واعجبًا! كيف نكون عبيدًا وليس في أرجلنا أصفاد ولا في أيدينا أغلال؟ بل كيف نكون عبيدًا وقد حفظنا في المدارس أن أمهاتنا قد ولدتنا أحرارًا، ولا يجوز لأحد أن يستعبد أحدًا؟..أنت أنت العبد لا تتلفت، والأغلال والأصفاد في طوية فؤادك ودخيلة نفسك، ولو كانت في يديك أو قدميك، لكان الخطب أيسر، لأن تحطيمها عنئذ يهون؛ أنت أنت العبد لا تتلفت، فلست تستطيب لنفسك عيشًا بغير سيد، إن لم تجده في الأرض التمسته في السماء". [جنة العبيط، ص١٩٠].

تظهر المفارقة هنا في الحكاية عمّا يعتقده المصريون ويومنون به، وهي حياة العبوديّة التي صارت جزءًا أساسيًا في تفكيرهم وفي طريقة حياتهم، والأشد من ذلك أنهم لا يشعرون بها، فهو لا يرون أنفسهم عبيدًا فقط لمجرّد أنهم ليس في أرجلهم أصفاد ولا في أيديهم أغلال (التي علّمه أسياده أنها "سلاسل من ذهب" وأن "في الدنيا شرقًا وغربًا، وأن للشرق هذا البريق الذي تلمع به السلاسل الذهبية" كما ذكر في مقاله "الدقة الثالثة عشرة")، وقد صاغ مفارقة الحكاية هنا معتمدًا على الآليات التالية:

- استخدام اللفظين "عجبًا!" و"كلا" للتعبير عن شدّ تعجّب المصري من نعت د. زكي نجيب محمود إياه بالعبد، وهما يعكسان مدى رضاه بالعبوديّة.

- استخدام الاستفهام الذي يحمل سخرية لاذعة من زعم المصريين "كيف نكون عبيدًا وليس في أرجلنا أصفاد ولا في أيدينا أغلال؟ بل كيف نكون عبيدًا وقد حفظنا في المدارس أن أمهاتنا قد ولدتنا أحرارًا، ولا يجوز لأحد أن يستعبد أحدًا؟، فهو يسخر من رضاهم بالعبوديّة التي تعني عندهم وجود الأصفاد في الرجلين أو الأغلال في اليدين، ثمّ يسخر في الاستفهام الثاني من اعتمادهم في مبادئهم على الحفظ فقط دون الوعي لتنفيذ ما يحفظون، فهم أحرار لمجرّد أن حفظوا مقولة في كتب التاريخ اعتمدوا عليها في حياتهم حفظًا دون تنفيذ. ود. زكي نجيب محمود هنا يتناول فكرته الرئيسة التي كتب عنها كثيرًا في مقالاته في "جنّة العبيط" وغيره من كتبه؛ وهي أننا في مصر نركن إلى ما قاله الأقدمين دون أن نجعل منه واقعًا نصنعه بأنفسنا.

- استخدام التكرار "أنت أنت العبد ... أنت أنت العبد ..."؛ فهو يؤكّد زعمهم عنه بدعوته إياهم إلى الحرية بأنه هو العبد لا هم، ويؤكد رضاهم بالعبوديّة؛ حيث يذكر زعمهم تهوين عبودية الفؤاد في مقابل عبوديّة الأرجل والأيدي.

- ويستخدم القصر أيضًا إمعانًا في السخرية، فهو يحكي عنهم "فلست تستطيب لنفسك عيشًا بغير سيد"، دلالة على تمّكن أخلاق العبيد من نفوسهم وشدّة رضاهم بها.

- المفارقة البنائية Structural irony:

وهي تعتمد على معرفة مقصد المؤلف الساخر الذي هو من نصيب المستمع، ولكنه مجهول عند المتكلم(٢٤).

◄ يقول د. زكي نجيب محمود في مقاله "شعر مصبوغ":"فإن وجدت ـ وما أظنك واجد ـ بين شعوب الأرض شعبًا، الوالد فيه يرى ألا أبوة بغير سياسة الحجَّاج في بيته، والولد يرى ألا بنوّة بغير خشوع وخضوع ... المعلم يرى فيه ألا تعليم بغير أن ينصت التلاميذ في صمت لعباراته كأنما هة راع في معبد ينطق لعباد الله بما خَطَّ لهم القضاء في اللوح المحفوظ، ويرى التلاميذ ألا تعلم بغير أن يحفظوا مؤمنين مصدقين لما قاله المعلم من قول مأثور...الرئيس فيه يرى من حقه على مرءوسه أن يطغى ويتجبّر، والمرءوس يرى من واجبه نحو رئيسه أن يستضأل ويستصغر...الشرطي يرى من حقه أن يسب يصفع، وصاحب الحاجة عند الشرطي يرى من واجبه أن يغضي عن شيء من السباب والصفعات...

إن وجدت ـ وما أظنك واجد ـ بين شعوب الأرض شعبًا فيه هذا كله، وأكثر من هذا كله، ثم وجدت في محفوظاته أن الناس سواسية، وفي دستوره أن له انتخابًا ونوابًا، فاعلم أنه شعب عز عليه أن يرى ضعفه ماثلًا أمام عينيه، فصبغ بالحناء رأسه وشاربيه". [جنة العبيط، ص٩٦].

تتمثّل المفارقة هنا في قوله:"فصبغ بالحناء رأسه وشاربيه"، فهذا الفعل لا يتناسب مع ما سبقه في سياق الكلام، فإن صبغ الرأس والشارب يغيّر لون الشعر تغييرًا ظاهريًا فقط؛ لكنّه لا ينفي وجود الشيب.

زاد من قوّة المفارقة وحدّتها هنا إطناب الكاتب في ذكر مواطن تمكّن الضعف والذلة من الشعب في طبقاته كلها، الأمر الذي لا يُجدي معه فعل الرجل الذي أراد أن يزيل عنه شيخوخة العمر، فصبغ شعر رأسه وشاربه بالحناء.

كما أنه قد افتتح مقاله بالحديث عن الرجل الذي يحاول أن يتخلّص من المشيب دون جدوى، ويقول في نهاية حديثه عنه:"وأعجب العجب أن صاحب الشعر المصبوغ لم يدرك أن موطن الشيب في دمائه، وأن جذوره قد ضربت في جوفه وأحشائه، وأنه إن أراد للشباب رجعة، فليتوكل على الله وليضع أمله في أبنائه". وكأن الفساد أيضًا قد سرى في دماء الشعب، وضربت جذوره في كل فرد من أفراده، مثله كمثل الشيب.

◄ ويقول في مقال "لماذا لا نخلق؟ ١" مخاطبًا القارئ:"ولست أريد أن أزيد من يأسك أيها القارئ الكريم، وإلا ذكرت لك حقيقة مروعة ستهولك وتشيع الحسرة في نفسك، وهي أن من أدباء الغرب من خلق وحده ستين "شخصية" أو سبعين!! أديبنا..تلميذ كبير، مقالته تختلف عن موضوع الإنشاء يكتبه التلميذ الصغير في الكم لا في الكيف، تختلف في الدرجة لا في النوع، فالأديب محصوله من الأفكار أعظم من محصول التلميذ الصغير، وثروته من الألفاظ أغزر، فإذا قيل للتلميذ الصغير اكتب موضوعًا في "وجوب العناية بالأطفال"، ثم قيل للأديب اكتب مقالا في هذا الموضوع، جاءنا الأول في موضوعه الإنشائي بفكرة واحدة وجاءنا الثاني في مقالته بعشرة أفكار أو عشرين...ولست أريد أن أزيدك من يأسك، وإلا ذكرت لك حقيقة مروعة ستهولك وتشيع الحسرة في نفسك، وهي أن الأديب المصري لا يكاد يعرف إلا المقالة وسيلة للتعبير، على حين أن المقالة في الآداب الغربية لا تكاد تكفي وحدها أن تنشئ أديبًا.

ولست أريـد أن أزيـد مـن يأسـك أيهـا القـارئ الكـريم، وإلا لـذكرت لـك حقيقـة مروعـة ستهولك وتشيع الحسرة في نفسك، وهـي أن الرجـل مـن إنجلتـرا أو فرنسـا ـ مـثلا ـ لـو سـئل هـذا السؤال(سؤال سأله أحدهم في مؤتمر ثقافي كان يحضره؛ وهو أن يكتب قائمة تحتوي على عشـرة كتب أدبية من إنتاج بلده مما يصح أن يترجم إلى سائر اللغات فيكون أدبًا عالميًا، فلـم يهتـد لكاتـب واحد) لأغمض عينيه، ووضع يده على كاتب واحد من أدبـاء بلـده، فـي جيـل واحـد مـن الزمـان، وانتقى للناس عشرة كتب لهذا الكاتب الواحد!!". [جنة العبيط، ص١٧٤].

تتضح المفارقة البنائية هنا من تكـرار جملـة "ولسـت أريـد أن أزيـد يأسـك أيهـا القـارئ الكريم"، فقد ذكرها ثلاث مرّات وفي كل مرّة يذكر له حقيقـة مروعـة تسـتدعي اليـأس والحسـرة، فمقدّمة الكلام لا تتناسب مع جاء بعدها، أي أن التناقض بـدا واضـحًا فـي كلامـه. كمـا أن تكـراره لهذه الجملة يعدّد من النماذج التي تعكس عدم قدرتنا على خلق جديد، ويزيـد مـن الـتهكُّم الممتـزج بالحسرة الذي تصنعه المفارقة.

◄ ويقول في مقاله "أخلاق العبيد":"أراد المصـري الكبيـر أن يكـون كبيـرًا ــ مـع أنـه كبير ـ فاتخذ لغايته سبيلًا يعرفها علم النفس ودارسوه، ألا وهي اصـطناع القـوة ليمتـاز مـن سـائر الناس، ولا شك أن من دواعي القـوة أن يسـلم عليـك النـاس فـلا تأبـه للنـاس! وهـذا فـي ذاتـه مـن المصري الكبير جميل جد جميل، لأن هذا هو ما أراده الله لعباده، وليس في وسع مصري كبير أو صغير أن يعصي ما أراده الله لعباده".[جنة العبيط، ص١٩٣ـ ١٩٤].

تتضح المفارقة هنا من قوله"ولا شك أن من دواعي القوة أن يسلم عليك الناس فـلا تأبـه للنـاس!"، كمـا أنـه يسـتخدم وصـف "الكبيـر" مـع ذكـر تصـرّفات لا تتناسـب معـه، فهـذه قناعـة المصريين ـ كما يراها ـ؛ حيث يرون أنه من دواعي قوّة كلّ كبير أن يتعالى على الناس فلا يسلم عليهم، ويعلل ذلك ساخرًا منهم "لأن هذا هو ما أراده الله لعباده".

يذكر كلامه ساخرًا منهم سخرية لاذعة؛ فهو يرى ذلك المصري الذي يصفه بـ "الكبير" يراه في الحقيقة صغيرًا، حيث نراه يعرّف القوة بعـد ذلـك قـائلًا:"لكن الـذي غـاب عـن المصـري الكبير فلم يدركه، هو أن القـوة المنشـودة لهـا سـبيلان: إحـداهما حقيقيـة تـؤدي إلـى القـوة بمعناهـا الصحيح، وأما الأخرى فسبيل زائفة تخدعه وتخدع أمثاله ممن لا يعمقون الأمور إلى لبابها".

وهو لا يفوته هنا أن يستخدم آلية المقارنة بين المصري والإنجليزي كـي يُظهـر تنـاقض كلامه ومن ثمّ تبدو المفارقة قويّة؛ حيث يقول قبل ذلك في مقاله نفسه:"لقد رأيت بعيني رأسي ـ إذ كنت في لندن ـ وزيرًا في الوزارة الإنجليزيّة الحاضرة ـ مستر نويل بيكر ــ كان يمثـل حكومتـه في جمعية الأمم المتحدة، رأيته بعيني رأسي ذات يوم، حين آن أوان الشاي في العصر، ينزل إلـى طابق البناء الأسفل ليقف في صف كان بين أفراد صغار الكتبة والخدم! وقف هنـاك ينتظـر دوره ليشتري فنجانًا من الشاي وقطعة من الكعك؛ وما فكّر هو، ولا فكّر أحد ممن وقفوا أمامه أن تكون له أسبقية بحكم منصبه، فسألت نفسي: هذل يمكـن أن يحـدث ذلـك فـي مصـر؟ وأجبـت نفسـي: إن حدوث ذلك في بلادنا مستحيل".

☑ الخاتمة:

بعد تحليل أنواع المفارقة التي وردت في مقالات كتاب "جنّة العبيط" للدكتور. زكي نجيب محمود، يتبيّن ما يلي:

- مثّلت المفارقة أداة من أدوات الإقناع في الخطاب الحجاجي بما تحمله من تناقض يحفّز ذهن المتلقي على التفكير فيه، ومحاولة الربط بينه وبين الفكرة الرئيسة التي يرمي الكاتب إليها في خطابه، والتوصل إلى أنّها أداة للنقد الساخر.

- مثّلت مقالات زكي نجيب محمود خطابًا حجاجيًا اتّخذ "المفارقة" أداة أساسيَّة لنقد أوضاع في المجتمع المصري بطريقة تهكّمية.

- وردت المفارقة في المقالات في أربعة أنواع، وهي:

(١) مفارقة النغمة: ومثلها الاستخدام التهكمي للألفاظ "أديبًا كبيرًا/قادة الأدب/سادتنا/أصحاب الفطنة/السادة رعاة الفن الجميل/سيدك/سيدي حضرة الذئب/سيدي ومولاي حضرة الذئب/سيدي ومولاي حضرة صاحب المجد../سيدي ومولاي حضرة صاحب المجد.../أديب فاضل جليل".

(٢) المفارقة اللفظية: وقد تمثلت في النماذج التالية:"نصحًا ـ استمرأ...استلذ..حلاوة غفلته" في تناقضها مع ما بعدها في السياق.

(٣) مفارقة الحكاية أو الإيهام: وقد تمثلت في المقالات في النماذج التالية:

- "فخير لنا وأقوم أن تكون تفاحًا معطوبًا من أن تكون برتقالًا جيدًا لذيذًا.
- "فليس الذنب ذنب الريالات المتكبرة، لكنه ذنب ذات المليمين".
- "إن شيخًا قيل إن به مسًا من جنون قد جاءني منذ أيام يقص علي قصة الإصلاح الذي يريده لأمتي".
- "وبربك لا تقل لا ينبغي أن يكون لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، فتلك حكمة القدماء".
- "وأقرن فوضاهم هذه بالنظام في جنتي فأحمد الله على سلامتي".
- "فيكفيها من مصائب الزمن أنها أنثى".
- "ولكن حذار أن تكون في خيالك حالمًا".
- "فأنت فاضل إن أطعت، فاسق إن عصيت".

وقد قد وردت مفارقة الحكاية أو الإيهام بنسبة أكبر تفوق الأنواع الأخرى؛ نظرًا لطبيعة مقالات زكي نجيب محمود؛ فهو ناقم على أغلب ما في المجتمع المصري، فيستخدمها سخرية من طريقتهم في العيش أو في التفكير باعتبارها تحكي زعم الآخر.

(٤) المفارقة البنائية: وقد ظهرت في المقالات في نموذجين؛ هما:

- "فاعلم أنه شعب عز عليه أن يرى ضعفه ماثلًا أمام عينيه، فصبغ بالحناء رأيه وشاربه".
- "ولست أريد أن أزيد من يأسك ايها القارئ الكريم".
- "ولا شك أن من دواعي القوة أن يسلم عليك الناس فلا تأبه للناس".

- زادت بعض التقنيات الحجاجية من حدّة المفارقة في المقالات، ومنها: المقارنة/الوصف/الاستفهام/التكرار/التوازي/المجاز/الألفاظ الانفعالية.

المراجع

أولا: المراجع العربيّة:

١- ابن الأثير (ضياء الدين أبو الفتح نصر الله): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: كامل محمد ومحمد عويطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
٢- د.إمام عبد الفتاح إمام: رحلة في فكر زكي نجيب محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١.
٣- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩.
٤- الحموي (تقي الدين أبي بكر عيل بن عبد الله): خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
٥- دي سي ميويك: المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
٦- د. زكي نجيب محمود: ثقافتنا في مواجهة العصر، مكتبة الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.
٧- ـــــــــ: جنة العبيط، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
٨- ـــــــــ: حصاد السنين، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥.
٩- ـــــــــ: قصة عقل، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.
١٠- ـــــــــ: "هموم المثقفين، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
١١- د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
١٢- د. ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، طبعة حلب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٠.

- المراجع الأجنبيّة:

(1) The shorter Oxford English dictionary principals, edited by: William Little, h. wfowler, and J. coulous, oxford, clareendon press, 1956.

- الدراسات:

١- خالد سليمان: المفارقة في رواية نجيب محفوظ حضرة المحترم، بحث منشور ضمن مجلة جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، جامعة اليرموك، الأردن، العدد الثاني، ١٩٩٥.
٢- سليمان الطالبي: بلاغة الخطاب الهزلي، بحث منشور ضمن كتاب البلاغة وأنواع الخطاب، تحرير وإشراف: محمد مشبال، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.
٣- د. سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني.
٤- د. نبيلة إبراهيم: المفارقة، مجلة فصول، المجلد السابع، العدد ٣-٤.
٥- د. اليماني عبد العزيز اليماني الفخراني: مقام العقل في فكر الدكتور زكي نجيب محمود، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين بأسيوط، ٢٠١٤، العدد ٣٢.

- المواقع الإلكترونية:

- سمير أبو زيد: "زكي نجيب محمود"، موقع فلاسفة العرب:

http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/amodern/amodern-names/Naguib%20_Mahmoud.htm

---

(١) الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩، ص٦٧.
(٢) ابن الأثير (ضياء الدين أبو الفتح نصر الله): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: كامل محمد ومحمد عويطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص٣٠٤.
(٣) السابق نفسه.
(٤) الحموي (تقي الدين أبي بكر عيل بن عبد الله): خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، الجزء الأول، ص٣١٥.

(٥) السابق، ص٢٩٥.
(٦) دي سي ميويك: المفارقة وصفاتها، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، المجلد الرابع، ص١٨.
(٧) The shorter Oxford English dictionary principals, edited by: William Little, h. wfowler, and J. coulous, oxford, clareendon press, 1956, p1045.
(٨) د. سيزا قاسم: المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص١٤٣.
(٩) دي سي ميويك: المفارقة وصفاتها، ص٥.
(١٠) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص١٥.
(١١) د.ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، مطبعة حلب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٠، ص١٩.
(١٢) د. نبيلة إبراهيم: المفارقة، مجلة فصول، المجلد السابع، العدد ٣-٤، ص١٣٢.
(١٣) وُلد د. زكي نجيب محمود في قرية ميت الخولي بدمياط عام ١٩٠٥، وتلقى أولى مراحل تعليمه في كتّاب الشيخ ربيع، وفيه تعلّم مبادئ اللغة العربية ومبادئ الحساب، وقد دفعته ثقافته الدينية وهو في سن مبكرة إلى التصوّف بعد ذلك والبعد عن الناس ليحيا في عالم الأفكار ، وقد كتب عن عزلته هذه في مقال له بعنوان "يونس في بطن الحوت"(نشرها في البداية تحت هذا العنوان في "مجلة المجلة"، ثم نشرها بعد ذلك في كتابه "هموم المثقفين، تحت عنوان " توبة الهارب"، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص١٤٠ وما بعدها)، قاده التصوف بعد ذلك للتفكير في ما سمّاه بـ"وحدة الوجود" الذي كتب عنها مقالًا بعنوان "درس في التصوّف"، نُشر في مجلة "الرسالة" عام ١٩٤١. تخرج من كلية المعلمين العليا بمصر، عام ١٩٣٠، وفي عام ١٩٣٣ بدأ في كتابة سلسلة من المقالات عن الفلاسفة المحدثين في مجلة الرسالة. وفي عام ١٩٣٦ سافر إلى إنجلترا في بعثة صيفية لمدة ستة شهور. وفي عام ١٩٤٤ سافر إلى إنجلترا للدراسات العليا. وبعد عام واحد حصل على البكالوريوس الشرفية في الفلسفة من الدرجة الأولى من جامعة لندن (وكانت تحتسب في جامعة لندن آنذاك بمثابة الماجستير لكونها من الدرجة الأولى)، ونال الدكتوراه عام ١٩٤٧ من جامعة لندن، وقد كانت بعنوان "الجبر الذاتي" ، وهي تكشف اهتمامه بحرية الإنسان (قصة عقل لد. زكي نجيب محمود، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص٤٨)، عين مستشارًا ثقافيًا للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوًا في المجلس القومي للثقافة. بعد عودته إلى مصر التحق بهيئة التدريس في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وظل بها حتى أحيل على التقاعد ويفخر أنيس منصور أنه من تلاميذه. من مؤلفاته: المنطق الوضعي - خرافة الميتافيزيقا - نحو فلسفة علمية - الجبر الذاتي - قشور ولباب - تجديد في الفكر العربي - المعقول اللا معقول في تراثنا الفكري - ثقافتنا في مواجهة العصر - مجتمع جديد أو الكارثة - رؤية إسلامية - في تحديث الثقافة العربية - جنة العبيط - شروق من الغرب - الكوميديا الأرضية - قصة نفس - أرض الأحلام. (راجع كتاب رحلة في فكر زكي نجيب محمود، تأليف د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١، ص١٩-٤٢، وراجع أيضًا ترجمته بعنوان: "زكي نجيب محمود" لسمير أبو زيد على موقع فلاسفة العرب:
http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/amodern/amodern-names/Naguib%20_Mahmoud.htm
(١٤) د. اليماني عبد العزيز اليماني الفخراني: مقام العقل في فكر الدكتور زكي نجيب محمود، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين بأسيوط، ٢٠١٤، العدد ٣٢، ص٨٣٦.
(١٥) د. زكي نجيب محمود: حصاد السنين، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥، ص٧.
(١٦) د. زكي نجيب محمود: ثقافتنا في مواجهة العصر، مكتبة الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص٢٠١.
(١٧) د. إمام عبد الفتاح إمام: رحلة في فكر زكي نجيب محمود، ص٤٣.
(١٨) سليمان الطالي: بلاغة الخطاب الهزلي، بحث منشور ضمن كتاب البلاغة وأنواع الخطاب، تحرير وإشراف: محمد مشبال، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص٢٥٨.
(١٩) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص٥٣.
(٢٠) السابق نفسه.
(٢١) المقالات مأخوذة من كتاب د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
(٢٢) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص٧١، وانظر أيضًا خالد سليمان: المفارقة في رواية نجيب محفوظ حضرة المحترم، بحث منشور ضمن مجلة جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، جامعة اليرموك، الأردن، العدد الثاني، ١٩٩٥، ص١٨٤.
(٢٣) د. محمد العبد: المفارقة القرآنية، ص١١١.
(٢٤) د. محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص١٤١، وانظر ناصر شبانة: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص٧١.